مكتبة المقتطف

آداب الطب

دفع اليَّ رئيس تحرير المقتطف بهذا الكتاب لأرى رأيي فيهِ فأوقعني في ورطة لا ادري كيف اتخلص منها لان النقد في الشرق ليس بالامر الهيّن . وسيرى القارىء كيف اخرج من هذا المشكل لا عليَّ ولا لي

والكتاب هو : آداب الطب وحياة الطبيب بقلم الدكتور فؤاد غصن خبير المحاكم واستاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وصاحب المجلة الطبية العلمية وعضو المعهد الملكي للصحة العامة في لندن . طبع في بيروت

هو كتاب جليل الفائدة جمعه مؤلفه على ما جاء في ديباجته «من معلوماته الخاصة واختباراته العديدة ومن معلومات الاساتذة الغربيين واختباراتهم المفصّلة في مؤلفاتهم» . اما معلوماته الخاصة واختباراته العديدة فلا شبهة في كثرتها لانه طبيب قديم خبير مارس الطب سنوات عديدة وهو فضلاً عن ذلك يشغل منصب استاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وينشىء بالعربية مجلة هي من ارقى المجلات الطبية والعلمية فلا عجب اذا جاء كتابه هذا شاملاً لما وضع لهُ ولا اغالي اذا قلت انه فريد في بابه لم ينسج على منوالهِ بالعربية في ما اعلم . ثم ان المؤلف قد احسن في عرض فصول منه على زملائه فنشرها تباعاً في مجلتهِ وبعث بنسخة منه بعد انجازه وقبل نشره الى سعادة الدكتور رضا بك سعيد رئيس الجامعة السورية في دمشق ومدير المعهد الطبي فيها والدكتور رضا بك طبيب مشهور له من سعة الاطلاع والخبرة ما يجعل لرأيهِ شأناً في ما يكتبهُ

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره ولكنهُ يتعذّر عليَّ ان أوفيهُ حقه من النقد لان ذلك يقتضي البحث في فصوله فصلاً فصلاً وانا سأشير الى بعض فصوله ومحتوياتها

استهلّ المؤلف كتابه في فصل سماه الدعوة الى تعلم الطب ثم ذكر الصفات الضرورية ليصير الطالب طبيباً . منها ان الطالب ينبغي ان يكون ذا ثقافة عالية نال فيها قسطاً وافراً من العلوم واللغات الحديثة والقديمة مما له علاقة بعلم الطب . فهذا الفصل وما يليه ينبغي على كل طالب او ولي امره ان يقرأه لكي لا تخرج لنا المدارس اطباء هم دون المستوى الذي نريده

ثم يلي ذلك بحث في النزول الى المدرسة الطبية وشروط النجاح وحسن التصرف او سوئه والمرضى والزيارات الاولى وغير ذلك من الامور المتعلقة بالاطباء

وبليه فصل في كلام الطبيب فما قال فيه : « ليأذن لي زملائي الاطباء ان الفت نظرهم الى امر أراه من الاهمية بمكان وهو ان على الواحد منهم ان يزن كلامه ليل نهار فيزنه بين مرضاه وفي عمله وبين اصحابه وعلى مائدته حتى وفي خلوته الزوجية فلا يبوح بشيء من الاسرار التي يسرّها اليه مرضاه» . ولم ينسَ مضايقة الناس للطبيب المسكين فقال «بينما يكون الواحد منّا في الحفلات او المتنزهات او القطار او غير ذلك ناسياً انه طبيب مستريح البال يرى نفسه مرغماً على ان يتكلم على الطب » . ومن محاسن الاتفاق ان كاتب هذه السطور دخل لايام مضت على حلاّقه فلم يكد يجلس على الكرسي حتى بادره صاحبنا بقوله ان فلاناً مصاب بحصاة في مثانته فما رأيك فضحكت واخرجت له كتاب الدكتور غصن من محفظتي وقد كنت اقرأه في ذلك اليوم وأريته العبارة المتقدمة ورويت له قصة وقعت بين الطبيب والمفتي في احدى مدن فلسطين وهي ان طبيباً كان كلما رآه المفتي يشكو له شيئاً ، اما رأسه او صدره او ظهره او غير ذلك فلقيه يوماً في السوق وكانت السوق ضيقة ومزدحمة بالناس فقال له عندي بواسير يا حكيم قال له اكشف لاراها قال هنا في السوق قال انت طلبت ذلك في السوق فشفي المفتي بعد ذلك من جميع علله

ومن فصول الكتاب الانيقة فصل في زواج الطبيب قال فيه « ومن أهمها يجب على زوجة الطبيب الاّ تكون غيوراً والاّ كان الزواج مثل جهنم — وقد رُوي لي ان زوجة احد الاطباء كانت شديدة الغيرة عليه حتى انها لم تضبط نفسها عن المجيء الى غرفة الفحص ودخولها اليها فجأة دون تلبيه عند ما يكون آخذاً بفحص مريضة فتاة» على ان المؤلف لم يخبرنا شيئاً عن هذا الطبيب فهل كان زيراً غيسانيًّا او قشوماً دميماً او من الذين يتظاهرون بالتقوى والورع والمسكنة فالنساء اخبر بأزواجهنّ فلعلّ لها عذراً ونحن نلومها . فالحادثة تشخيصها صعب والانذار بسيء جدًّا

ثم فصل في طالبات الطب قال فيه ليس من الضروري ان تكون المرأة الطبية شنيعة قلت والعياذ بالله . ثم لو فرضنا انها شابة تارّة رعبوبة وزوجها غيور مثل زوجة الطبيب التي ذكرها في ما تقدم وكان مرضاها من القراهيد الغيسانيون ألاّ يكون الزواج في هذه الحالة كالزواج السابق

ثم فصل في التشخيص والانذار وغيره في المعالجة وفصول غيرها مما يجب على الاطباء معرفته او مما له علاقة بالاطباء ومرضاهم

ومن خير الفصول في هذا الكتاب فصل في شرف المهنة وبحثه في التدجيل وقد ميّز نوعين منه فقال «كل شخص يتعاطى الطب بغير صفة قانونية يجب ان تقاومهُ الجماعات الطبية باسم جميع الاطباء لانهُ خطر على الشعب » . اما النوع الثاني فقال عنه «ولكن الذي يعرّض جسمنا الطبي للخطر هو التدجيل المدعوم بالشهادة وهو كثير الانواع غير محدودها وهو

لنوعه الحظ على درجات مختلفة في جميع الطبقات » اي ان النوع الاول من التدجيل خطر على الجمهور والنوع الثاني خطر على الاطباء وهو في نظري اصعب الشرّين . وقد رأى المؤلف اتقاء لهذا الشر ان تنشأ في البلاد الشرقية نقابات طبية انرد لها بحثاً خاصّاً في آخر الكتاب وانما يتعذر ذلك في البلاد الشرقية ما زال فيها احتلال وانتداب ومعاهدات زائفة وامتيازات اجنبية فيحسن بالاطباء الشرقيين ان يعيروا هذا الامر اهتمامهم رفعاً لشأنهم بين الامم

والكتاب كما تقدّم حسن جدًّا قد سدَّ فراغاً في اللغة العربية وهو مكتوب باسلوب سهل العبارة فصيحها وكله خالٍ من التهجيج فأهنىء الزميل لابرازه هذا الكتاب النفيس واشير على طالبي الطب والاطباء وكذلك جمهور الادباء على مطالعته لان لجميع الناس علاقة بالطب والاطباء

ومما قاله ما يأتي : قد قامت في سنة ١٩١٠ كل جمعيات الطب والصيدلة في باريس على نسق التعليم وطلبت العودة الى التعليم القديم اي ينبغي على الاطباء ان يكونوا علماء لا محترفين واني اشير على كل طالب طب او كل والد يريد ان يدخل ابنه في مدرسة طبية ان يقرأ الفصول التي عقدها المؤلف في هذا الباب مثل الدعوة الى تعلم الطب والعقبات الضرورية الكافية ليكون الرجل طبيباً والاستعداد للدروس الطبية وادب الطلاب وشروط النجاح وحسن التصرف ونحو ذلك اي ان الطبيب يجب ان يكون عالماً

ولما كان للناقد ان يجد ولو عيباً واحداً في الكتاب فاني كنت اود لو اجتنب المؤلف استعمال الزبون « بمعنى المريض الذي يعهد بنفسه الى عناية الطبيب » ولو قال المريض وحده كما فعل في مواطن كثيرة لما اختلّ المعنى فقولنا الزبون يجعل الطبيب بمنزلة البائع والمريض بمنزلة المشتري . ثم ان للزبون معاني كثيرة قد توقع في مشاكل نسائية احياناً

امين المعلوف

اسماعيل المفترى عليه

Ismail The Maligned Khedive
by Pierre Crabites Routledge, London 12s. 6d.

كان عصر اسماعيل عصراً حافلاً بالحوادث الخطيرة

ففي سنة ١٨٦٦ فاز من السلطان بحق توريث ابنائه العرش في خطّ مستقيم وفي سنة ١٨٦٧ اتخذ لقب خديو وفي سنة ١٨٧٣ اعترفت الاستانة لمصر باستقلالها مع بقاء الجزية . ثم ان اسماعيل وجّه عنايتهُ الى تنظيم الحكومة والادارة والجارك وأنشأ مصلحة البريد المصرية (١٨٦٥) واصلح المدارس الحربية وشجع نشر التعليم ومدَّ السكك الحديدية وخطوط التلغراف وبنى المنائر ومرفأ السويس وحاجز الامواج في ميناء الاسكندرية وشقَّ الترع وشيد الكباري وحارب تجارة الرقيق وبعث بحملة الى السودان لاستكشاف قلب القارة

السوداء . وفي عهده احتفل بافتتاح ترعة السويس(١٨٦٩) وانشئت المحاكم المختلطة(١٨٧٦)

ولو ان ملكاً او اميراً ترك نصف هذه المآثر في بلاد اخرى ، لاضيف لقب « العظيم » الى اسمه . ولكن من نكد الدنيا ، ان اسماعيل كان في حاجته الى المال ، لقيام بكل هذه الاعمال العظيمة ، يعامل طائفة من المرابين الدوليين ، لا يعرفون الاّ الجشع مبدأً ومعاداً . وهذه مصر نصبة سائغة لهم ، لان اميرها ، يريد ان يخرجها من الظلمة الى النور فليجوروا عليه ، ما مكّنهم من ذلك سلطان المال ، وليقرضوهُ القروض بفوائد عالية وليعطوه نحو٢٤مليون جنيه لقاء سندات قدرها اربعون مليوناً او تزيد ، وليستنجدوا بوزارات الخارجية يكبلون عنق مصر بالاغلال السياسية ، ضمانة لاموالهم ، ثم ليعمد رجالهم الى التاريخ يدوهونهُ ، عمداً او جهلاً ، فيرموا هذا الامير العظيم بكل نقيصة تسويغاً لفعلتهم . ألم يقل مركيز زتلند في ترجمته لاورد كرومر ان توفيق باشا « اثبت انه بالمقابلة مع سلفهِ الفتوح كان حاكماً لا بأس بهِ فلم يكن سفاكاً ولا مبذّراً ولا لصّاً » . وقال لورد ملنر: « ان اسماعيل جمع في نفسه كلّ صفة طيّبة وسيئة ، لابدّ منها لجعله مبذّراً امثل . كان مترفاً ، شهوانيًّا ، طمّاحاً ، يحب مظاهر الابهة ، ومجرّداً من المبدإ ، وكان في الوقت نفسه يفيض بالمشروعات العظيمة لتحسين حالة بلاده المادية » . وقال لورد كرومر: « ويقال بوجهٍ عام ان اسماعيل باشا اضاف مامتوسطهُ ٧ ملايين جنيه الى دين مصر كلّ سنة مدة ثلاث عشرة سنة . وقد بذّر كل المال المقترض الاّ ١٦ مليون جنيه انفقت على ترعة السويس »

فهل يرضى التاريخ بهذا الحكم على اسماعيل ؟

هل كان حقيقة مبذّراً لمال لنقص في ملكة تدبير المال ؟ هل كان حقيقة طالب لذّة يقدمها على شؤون الدولة ؟ أليس لهُ من الخصال ومن الآثار ما يردّ عنهُ هذه الوصمات امام محكمة التاريخ العليا ؟

■■■

أسئلة تنزل في الصميم من تاريخ مصر الحديث . وقد اثبت القاضي كرابيتس في كتابهِ الذي ظهر حديثاً باللغة الانكليزية بعنوان « اسماعيل : الخديو المفترى عليه » ان هذه الاقوال تنطوي على جور وافتراء وتشويه للحقيقة . قال في مقدمة كتابه: « ان هذه الصفحات تمهّد لتلفيق تاريخي . انها ترفض ان تنضمّ الى الجوقة التي يقودها ملنر وكلفن وكرومر ، فلا تتفق معهم على ان اسماعيل باشا كان مبذّراً او طالب لذة او لصّاً ... لقد انقضت خمسون سنة منذ نفي اسماعيل المفترى عليه . فقد آن الاوان للبحث عن حقيقة ولايته في الوثائق المعاصرة التي لا يطعن في صحتها . ولو كان هذا الكتاب كتابي بالمعنى الضيق ، لكان يثبت رأيي فقط ازاء آراء جيش من المؤرخين الكبار ... ولكن الادلة التي اوردها تمهّد لاقوال مؤلفين

ذوي مكانة عالية . انني ارفض ان اقبل اقوالهم واستنتاجاتهم . واني اقدم مستندات من الوثائق المعاصرة لردّ ما جاؤا به عن نية حسنة، ولكن من دون ان يتغلغلوا في صميم الموضوع »

والمطلع على كتاب القاضي كرابيتس يلمس في كل صفحة من صفحاته انهُ تغلغل الى صميم الموضوع. فانهُ استخلص التهم الواردة في كتاب ملنر وزتلند وكروس واضرابهم. ولكنهُ لم يغفل ما يناقض اقوالهم في كتب ادون ده ليون الذي كان قنصلاً جنرالاً للولايات المتحدة الاميركية في ذلك العهد وظل مقيماً في مصر بعد اعتزالهِ العمل الرسمي. وماكوان، وقد كان صحافيًّا بريطانيًّا وغيرهما . بل انهُ لم يكتف بالكتب المطبوعة والمنشورة ، فعمد باذن خاص من حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، حصل عليهِ بواسطة وزير مصر المفوض في وشنطن، الى سجلات وزارة الخارجية الاميركية للحصول على صور الرسائل التي تلقتها الوزارة في ذلك العهد من قناصلها في مصر . يضاف الى ذلك ان جلالة الملك، اصدر امره الكريم، بان تباح لهُ سجلات مكتبة عابدين الملكية لاستخراج الحقائق من الرسائل المحفوظة فيها

***

وقد خرج القاضي كرابيتس من كل ذلك بصورة منسجمة متسقة النواحي للخديو اسماعيل كان اسماعيل في الثالثة والثلاثين من عمره لما دعي الى تقلد المنصب السامي في هذه البلاد. ورجل في الثالثة والثلاثين ، ليس فتى يتقلب مع كل ريح . ثم انهُ كان زارعاً بصيراً بشؤون الارض والفلاحين . والزارع محافظ في الغالب . وما اشتهر بهِ من العناية باملاكه وتحسينها ورعاية فلاحيه، وحبهُ عند ارتقاء الاريكة الى شؤون البلاد . فقد وصفهُ ده ليون القنصل الاميركي بانه كان نشيطاً في عملهِ الى اقصى حدود النشاط. قال : لما كان من مقتضيات الحكم المطلق ان يطلع الرئيس على كل التفصيلات الدقيقة ، فكان محتوماً (على اسماعيل) ان ينهض باكراً في الصباح، ويقبل على العمل الذي يحبهُ — وهو تسيير ادارة الدولة — ويظل الى ساعات متأخرة من الليل...» اما ماكوان الصحافي البريطاني فيؤيد قول القنصل الاميركي. فانهُ يلخص خلق الخديو من هذه الناحية بقوله «الدولة هي الخديو» ثم يعمد الى التفصيلات فيقول بعد الاشارة الى اجتماعات الوزراء . — «فمن المفاوضة في معاهدة او قرض الى الموافقة على عقد لشراء غم او آلات ، انهُ يعرف كل تفصيل من تفصيلات الادارة ولا شيء يفوتهُ من الاعمال المصلحية الاّ ما كان عادياً يسير من تلقاء نفسه ... وبكلمة من الاسكندرية الى وادي حلفا . . . . لا يكتفي متوهّ بالجلوس على الاريكة بل يحكم كذلك »

بل ان القنصل الاميركي قال في تقرير مرئي بعث بهِ الى وزارة الخارجية الاميركية : — ارتقى اسماعيل باشا الاريكة في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، فاظهر في قيامهِ باعمالهِ فهماً نادراً للرجال والاعمال ، وقدرة ادارية قلما عرفت في امراء الشرق . ومن ساعة ارتقائهِ الاريكة ، وقف

نفسهُ، ونشاطه الذي لا يفتر، على تقدم مصر الداخلي » وتاريخ هذا الكتاب ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣ اي عشر سنوات بعد تقلُّد اسماعيل لمنصبهِ العالي

فهل يعقل ان يكون هذا الرجل ، رجلين ، الرجل الذي يقول عنه ملنر وزملاؤه ، انهُ كان طالب لذة ، مبذّراً ، يحب الابهة . والرجل الذي يقول عنهُ ده ليون وماكوين انهُ كان يبذل نشاطه الذي لا يفتر في سبيل تقدم مصر ، وتدبير شؤونها ، نحو ١٤ ساعة كل يوم و ٣٠٠ يوم كل سنة ؟

يتهم اسماعيل ، بانه زاد دين مصر ، نحو ٩٠ مليون جنيه ، وان هذا المال — الاَّ ١٦ مليون جنيه منها انفقت على قنال السويس — بذّر تبذيراً

هذه هي المشكلة التي يعرض لها القاضي كرابيتس بكل تفصيل ، ويخرج منها بان ولاية اسماعيل ، لها ميزانيتان اما الاولى فمالية . واما الثانية فأدبية

وقد اثبت اولاً تضارب الاقوال في مقدار الدين الذي اضافهُ اسماعيل الى دين مصر . وفضح في ناحية من النواحي افعال المرابين الدوليين الذين كانوا يعتدون لهُ قرضاً بمبلغ معيَّن ، وبفائدة عالية ، وكيف حتم على الوالي اصدار السندات اللازمة ؛ ثم هم لم يدفعوا لهُ ، الاَّ جزءًا من مبلغ القرض» ففي الصفحة ٢٩٤ من كتاب القاضي كرابيتس بين ان الخديوي اسماعيل اقترض من المالين بين ١٨٧٠ — ١٨٧٩ مبلغ ٠٠٠ر٨٠٢ر٢٣ جنيه اضطرَّ ان يصدر بها سندات بقيمة ٠٠٠ر٥٠٠ر٤٠ جنيه . ويتهم اسماعيل بانهُ لاسرافهِ اضطرَّ ان يبيع اسهمهُ في شركة ترعة السويس . ولكن ينسى من يتهمهُ بذلك انهُ احتفظ ، عن فهم ، بحصة مصر في ارباح الشركة وهي ١٥ في المائة ، وقد بلغت قيمة هذه الحصة سنة ١٩٣٢ ما يزيد على مليون جنيه وان هذه الحصة بيعت بعد تنازله وخروجهِ من البلاد. ثم يلسى كذلك ان اسماعيل استردَّ ما كان قد منح للشركة من اراضي مصر (نحو ٦٠ الف هكتار) يقدَّر ثمنها باضعاف ذلك المبلغ (٠٠٠ر٢٠٠ر١ جنيه) الذي اضطر الى دفعهِ تعويضاً نزولاً على تحكيم نبوليون الثالث

اما الميزانية الادبية فيجب ان نذكر فيما يتعلق بالترعة انهُ الغى السخرة في حفرها، وكان معتمد الشركة عليها ، مما دسَّ في عقد الامتياز الذي منح لدلسبس. ومنع الشركة من احتلال منطقة من ارض مصر باختيار واليها السابق .ثم انهُ فتح السودان لاحبًّا بالغزو والفتح، ورسائله الى بايكر وغوردن تشهد بذلك ؛ بل رغبة في محاربة تجارة الرقيق ، واستكشاف مجاهل القارة السوداء ، وتوسيع آفاق العلم . وغنم لمصر لقباً مميّزاً لواليها ، واستقلالاً تامًّا لها لولا الجزية للباب العالي . ولو انهُ اراد ان يغنم ذلك بحرب لانفق في الحرب اضعاف ما انفق في السلم ، اذا صرفنا النظر عن دماء الرجال التي حقنها . وكل هذه اعمال لا نستطيع ان نقدرها بالمال فلا يمكن ان تظهر في موازنة مالية

اما نقد القاضي كرابيتس لتقرير كايف ، وبيان ما فيه من الاضطراب ، واقامة الدليل على ان اللجنة التي وضعته لم تفهم حالة البلاد فهماً صحيحاً حينئذٍ فمن ادل فصول الكتاب على ما عانهُ المؤلف من مشاق البحث

والخلاصة ان كرابيتس لا ينكر ان اسماعيل انفق مالاً ، ولكنهُ ينكر بشدَّة انهُ بذَّره تبذيراً بل يقيم الدليل على ان اسماعيل لشدَّة فطنته كان يرى ابعد مما يرى معاصروه

ولكن الامر الذي لا ريب فيهِ ان اسماعيل باشا انفق مالاً اقترضهُ من المرابين الدوليين وانهُ انفقهُ على ما اثبت المؤلف في سبيل اصلاح البلاد وترقيتها واستقلالها عن الدولة العثمانية. ولكن هذه القروض كانت سبيلاً سلكه الطامعون الى تكبيل مصر بالاغلال السياسية التي تحمل اثقالها الآن.

ف.

صناجة الرياشي

الجزء الاول : اناشيد الارواح، يقلم نبلان الرياشي ، كتب مقدمته الاستاذ امين نخله — ٨٥ صحيفة من القطع الكبير — طبع بمطبعة الكشاف ببيروت على رسوم ومزبة من ريشة مسطى فروخ

نعم بين دالية أبي العلاء ورباعيات الزهاوي وكواكب جبران وصنَّاجة الرياشي — كما يقول الاستاذ أمين نخله — نسبٌ وعِرقٌ متين ، وان كل ذلك غراس عجيب طلع في المعرَّة وأورق في نيسابور ذكَّاها نبت في دهليز أبي العلاء ومال على بساط الخيَّام بالظل والزهر ... ولكن ما أحسَّهُ ابو العلاء في الحياة ، وما لمسهُ الخيَّام منها ، وما عرفه جبران والزهاوي ، وما شربهُ فوزي المعلوف ، ولمحهُ الرياشي إن هو الاَّ احساسٌ ذاتيٌّ يطغى على النفس فيذيقها المرارة ويجرِّعها السمَّ ويكويها بالنار فتضطر الى تبريد نارها بأنفاسها فتهتف من الاعماق تلك الصيحات الانسانية الموجعة ، ولكل صيحة حنجرتها ، ولكل حنجرة اوتارها ، فتصدر الانغام مختلفة وان كانت اللوعة التي تثيرها متشابهة الفصول

على انَّ هناك تشابهاً عظيماً تلمسهُ اول وهلة عند اطلاعك على صنَّاجة الرياشي بينها وبين ملحمة المرحوم فوزي المعلوف « على بساط الريح » ... نعم هناك تشابهٌ عظيم في كثير من الآراء والافكار والغاية جدا بالشاعر الرياشي الى ان يتمشى في حدود التشابه الى اقصاها حتى بلغ طريقة نظام الطبع والرسوم الرامزة الى فكرة القصيدة

وقبلان الرياشي ، وان كنت لم اقرأ له قبل « الصناجة » شيئاً ، ألمحهُ من خلال اناشيده التي يضربها على صناجته شاعراً انسانيًّا يحاول الوصول الى أبعد آفاق الحياة ، بل يريد ان يتجاوز هذه الآفاق الى ما وراءها الاَّ أن اشياء تحول بينه وبين ذلك ، واظن انه لو توفر على امتلاكها حتى تتوافر لديه لفاز بما يؤمل ، فهو قليل الاهتمام بالصياغة والوزن الشعري ، يحاول الاحتذاء ، وجدير به ان يهتم بوزنه وصياغته وان يترك شاعريتهُ في أفق ليس فيهِ مرايا تعكس على شعره

وجوه آخرين ، ولا يلبس شاعريته أثواباً لشاعريات آخرين

فمن سقطاته في الوزن — وفي الصناجة من ذلك كثير — قوله :

وبعد قليل أتى كاهنٌ يضيء الشموعَ ويذكي البخورا
ويتلو الصلاة على نعشه وهو جاثٍ يناجي الإله الغفورا

وقوله : وما كان في حلمه شبحٌ ولا كان قتل الضعيف اضطرارا

وقوله : نظرت ربّات الجمال اليه يتغنى بحبها ويجيدُ

وكان يصحُّ ان تكون كلمة «جثوٌّا» بدل «وهو جاثٍ» وكلمة «مشبع» بدلاً من «شبع» و « ربّةُ » عوضاً عن « ربّات » ليستقيم له الوزن ، ولعلَّ هذه وما يشابهها أخطاء مطبعية يتداركها الشاعر في طبعة ثانية

ولاحظتُ في الصنّاجة في قصيدة « رمز الأمومة » تفككاً بين المطلع والقصيدة وان لا رابطة بينهما وكان يجب ان يربط الشاعر بينهما كما فعل في غير هذا الموضع، ولاحظت تفككاً في خيال الشاعر يجعل الصورة غير متفقة الالوان ، متباعدة الظلال ، جامعة لمراعٍ متنافرة مثل قوله في هذه القصيدة ايضاً :

فما (ابتسمت) أمُّهُ للولاد وألوت عليهِ تهزُّ السريرا
وتوسعهُ قُبلاً حلوةً تسيل حناناً وحبّاً طهورا
وتنهلهُ فوق عذب الحليب من (البسمات) شراباً غيرا

فكيف لا تبتسم الأم وهي تبتسم ! ؟ وقوله في قصيدة « الشاعر والمرأة » :

آدمُ جاء من تراب ولكن جئتِ من لحمٍ أو دم مسفوك

ثم قوله بعد ذلك في نفس القصيدة :

انتِ من طينة الملائك كوّنتِ وثم كنت عرشاً أثيلا

فانه رغم اختلال الوزن في البيت الاول فان في هذين البيتين تنافراً وإلاّ فكيف لا تكون المرأة مخلوقة من التراب كآدم في البيت الاول وهي مخلوقة في البيت الثاني من طينة الملائكة وكان أجدر به ان يقول : « انت من عنصر الملائك كوّنتِ » أما الشطرة الثانية فان معناها غير لائق !

على اني اعجب في الرياشي بروحه واعجب بخياله ، واعجب اكثر من ذلك برغبته في التحرّر ولكني ادعوه قبل ان يتوغل في آفاق الحرية الى ان يتزوّد كثيراً حتى لا تدعوه قلةُ الزاد الى السقوط من عرشه ! ولعلهُ في الجزء الثاني من صناجته لا يدعونا الى مطاوعة الاستاذ امين نخله في الاكتفاء بما في الصناجة بهذا العطش المميون حتى اذا طرح ابريق الخيام دون ريّ عاد الينا بما في الينابيع من عذوبة وبما في اعماقها من اسرار حسن كامل الصيرفي

الاسلام والقبائل في مستعمرة نيجاريا

L'Islam et les Tribus dans la Colonie du Niger
Editions Geuthner, Paris.

ان الفضل في الاطلاع على جغرافية نيجاريا راجع الى روّاد الافرنج الذين رحلوا اليها منذ بداية القرن التاسع عشر ، لأن ما صنفته العرب عنها بات مجهولاً او كاد

وقد دخل الاسلام تلك البلاد عن طريق السودان على يد الشريف محمد عبد الكريم المادلي أو على ايدي تابعيه ومريديه ، وعن طريق المغرب مباشرة بواسطة تجار طرابلس . وبعد ذلك تغلغلت السنوسية الى تلك البقعة في نهاية القرن التاسع عشر

على ان الاسلام لا يعتنقه جميع اهل نيجاريا . ففيهم طائفة كبيرة تدين بالفتيشية . ومنها من يخالط المسلمين ويصاهرهم ومنها من ينتبض عنهم ويقاطعهم . والمسلمون يبلغ عددهم ٧١٨٠٠٠ والفتيشيون ٢١٢٠٠٠ . واشد المسلمين تحمساً هم الطوارق للثّسون ، ولكن تقوامهم اقرب الى التظاهر . ومما يحسن ان يقال هنا ان الانكايز لطّخلّدين تلك البقعة لا يحاربون الاسلام بل يعززونهُ . ويقال ان كبار الانكايز يشتركون مع المسلمين في بعض عباداتهم ، ومن ذلك ان المندوب السامي في (سوكوتو) يصاحب امام المسلمين الى مقام هنالك يدعى مقام عثمان فوديه حيث تقام الصلاة

والسيو مارتي Marty صاحب هذا الكتاب يذكر ذلك كله ثم يحدد بلاد النيجاريا ويبحث في كل من اقسامها مع سرد خصائصها وذكر اعيانها وعرض مظاهرها الدينية بين جوامع ومقامات ومدارس ومكاتب

ترجمة حديثة للقرآن

Le Coran. Editions Geuthner, Paris

قام بهذه الترجمة اثنان ممن يُعهد اليهم في الترجمة الرسمية في بلاد المغرب . وقد تصفحت هذه الترجمة فوجدتها غير وافية على نحو غيرها من التراجم الافرنجية وانها ليعوز جانباً منها الطلاوة والامانة في النقل والدقة والبراعة في التعبير

وعلى هذا فلا اظن القرآن ينقله الى اللغات الاعجمية واحد او اثنان . وانما لا يتوى على النهوض بترجمته الاّ فرق من اللغويين والفقهاء والشعراء والكتّاب فلغوي يعنى بالالفاظ والتراكيب ويظهر معناها الصحيح بين حقيقي ومجازي ، وفقيه يؤول اللفظ ويشرح التركيب مستنداً في ذلك الى التفاسير القويمة ، وشاعر يفطن الى ما ينتشر في آيات القرآن من صور جلابة وتشابيه خلابة ، وكاتب يحكم العربية ويحذق اللغة المنقول اليها فيفرغ الآيات في قالب

رائع واسلوب سليم . على انه لا يشك احد انه مهما صنع اولئك القوم فلن يصلوا الى شيء من اعجاز القرآن . ولكنهم يستطيعون ان ينقلوه الى اللغات الاعجمية في شكل مقبول لا اعوجاج فيه من حيث المعنى ولا اختلال من حيث المبنى

ومما لا يخفى على أحد ان مسئلة ترجمة القرآن وقد اثارت ضجة في مصر لبضعة شهور مضت . فقال بعضهم بها وطعن غيرهم فيها فاشتد « النقاش » بين فضيلة الشيخ التفتازاني والاستاذ فريد وجدي . وليس هنا مجال هذا البحث ب . ف .

سيرة حياتي

كتاب الفهُ الاديب توفيق ضعون صاحب مجلة الدليل في سانبولو البرازيل . يتضمن هذا الكتاب اهم ما جرى لمؤلفه من الحوادث في سورية ومصر والسودان وسواها من البلدان في قالب روائي فكاهي ، نشرهُ مؤلفه عند بلوغه الخمسين من العمر (لانه ولد سنة ١٨٨٢ في سورية) قرأت هذا الكتاب على اثر مطالعتي اربعة كتب من نوعه . الاول مذكرات جمال باشا . والثاني مذكرات هندنبرغ . والثالث مذكرات لودندورف . والرابع مذكرات مسز اسكويث . طبعاً ان وقع الكتاب في النفس يتوقف على امرين اولهما خطر حوادثه وثانياً حسن تأليفه . واذا كان هنالك سبب ثالث فهو علاقته بالمؤلف . امتاز كتاب ضعون هذا بالعامل الثالث ، مع ان الثاني لا بأس به . عرفت هذا المؤلف في سانبولو وأؤكد انه لين العريكة ، حسن الطوية ، متواضع ، مخلص . لذلك كانت مطالعتي كتابه مقرونة بشيء من التآخي . فكأنه الى جانبي يحدثني

اما عدا ذلك فالكتاب رشيق العبارة ، وينطوي على قصص ونوادر شائقة ، مقرونة بنكات مستحبّة في بعض الاحيان . وهو عندي خير من رواية مختلقة بعيدة عن الابداع او من ترجمة رجل عاش في غير عصرنا ومصرنا . وقد تكون مطالعة هذا الكتاب لذيذة بنوع خاص للذين عاشروا توفيق ضعون اكثر مني لانهُ اتى فيه على ذكر حوادث تتعلق بهم ، او انهم عرفوها من قبل . وعلى كل حال فهذا الكتاب يضع امام القارىء

اولاً : صورة شاب عاش في اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن في البلاد العربية والمهجر

ثانياً : صورة للحالة الروحية في سورية ومصر والسودان

ثالثاً : يكشف عن الاخلاق واحوال الهيئة الاجتماعية في ميدان واسع النطاق

رابعاً : يعلن للملاء نفس اديب جميلة فهو سفر نفيس جدير بالمطالعة . ومطبوع طبعاً حسناً في نحو ٤٠٠ صفحة ، متين الغلاف ، حسن الترتيب . فأثني على حضرة المؤلف وأحييه تحية الآخاء

مصر حنا خباز

مغاير الكتب

١ — أنتم الشعراء

تأليف أمين الريحاني — مكتبة الكشاف ومطبعتها — بيروت سنة ١٩٣٣

يقول الشاعر المجيد بشارة الخوري

الهوى والشبابُ والاملُ المنشود توحي فتبعث الشعرَ حيّا
والهوى والشبابُ والاملُ المنشودُ ضاعتْ جميعُها من يديّا
يشربُ الكأسَ ذو الحجا ويبقّي لغدٍ في قرارة الكأس شيّا
لم يكنْ لي غدٌ فأفرغتُ كأسي ثم حطّمتُها على شفتيّا
ايها الخافقُ المعذّبُ يا قلبي تزحتَ الدموعَ من مقلتيّا
أفتمّ عليّ إرسال دمعي كلما لاح بارقٌ في محيّا
يا حبيبي لأجل عينيك ما ألـ ـقى وما أوّل الوشاةَ عليّا
أنا العاشق الوحيدُ لشلق تبعاتُ الهوى على كتفيّا

فتكون هذه الابيات الرقيقة سبباً في إثارة الريحاني على الشعراء المعاصرين الذين يحبسون شعرهم على البكاء والنحيب والحسرة والالم وإظهار الضعف عن تحمل الهوى . ويكثر الجدلُ بين الادباء عن هذا الشعر الباكي الضعيف ويتقسمون الرأي بين راض ومستنكر . ويسخر الريحاني في كتابه هذا من الشعر الذي يحبسهُ أهله على الضعف والتخنث والبكاء والتقليد ويهيب بالشعراء الى القوة والفتوة والرجولة والتجديد

ونحن من قبلنا لا نحبُّ ان نجادل فيما لا يلدُ الجدل فيه الاّ العناد والكبرياء والتعصب للرأي او للهوى ولا نبالي ان يقول الناس أصبنا او أخطأنا الاّ ان يكون ميزان الصواب والخطأ العدل والحق والاخلاص والقسط الذي لا يرجح بالناقص ولا يثقل بالوافي

الشعراء المخلص الذين لا يطلبون بشعرهم شهرة ولا سيتاً ولا دعوى مستطيلة هم ناسٌ من البشر لهم ما لهم وعليهم ما عليهم الاّ انهم من الامم بمنزلة مقياس الحرارة (الترمومتر) الذي يؤثر فيهِ تقلب الجوّ تأثيراً ظاهراً بيّناً يثبته العدد فلا موضع فيه للجدل الاّ ان يكون هذا المقياس في ذاتهِ مختلاً فاسداً لا يدلّ على حقيقة الجوّ الذي يحيط به وبذلك يصبح مقياساً لنفسه لا للناس . والحقيقة لا تعرف الاّ من المقياس الصحيح الذي لا خللَ فيه فالناس جميعاً منتقرون اليه ، اما المقياس الفاسد فلا يرجى له خير الاّ ان يحطّم او يهمل وما بأحدٍ اليه حاجة . وهذا مثل الشعراء في كل أمة من الامم

ونحن من قبلنا أيضاً لا نستنكر على شاعر ان يرقّ ثم يرقّ حتى يضعف ويبكي ويئن ويتوجع من آلام الهوى وتباريح الصبابة ما كان ذلك الشاعر صادقاً لا يتباكى محبّاً لا يتصنع

الان الشاعر — كما سلف — رجل من الناس ربما كان له من اسباب الهوى ما يدنفه ويبكيه، وهذه الاسباب تكون له جوًّا يحيط به خاصةً فهو يتأثر به على كل حال. الاَّ ان هذا الشاعر نفسه رجل من أمة يكون لها من اسباب القوة والسيطرة والعزة ما يكون لها او رجل من امة بها من الضعف والقشور والذلّ والاستعباد والمهانة ما تضرب به الضربات الشداد بمعاول الظلم والجبرية والعدوان والشر الاستعماري القبيح الدنيء. فلا بدَّ للشاعر من هذه الامة ان يكون لسان الامة الذي يتكلم بأوجاعها وآلامها وان يكون من جهة اخرى قائداً من القوّاد يقف في قلب الجموع المسكينة خطيباً تنقد كلماته الى القلوب لتحركها وتنعشها وترمي فيها بالحياة والشباب والنشاط وبذل النفس وغلبة الرأي على الشهوات والاهواء. وان لا يكلّ ساعةً عن الجهاد والدعوة الى الطريق السويّ. فاذا خلا الشاعر قليلاً قليلاً الى نفسه وغلبته الحياة الفردية والاهواء الخاصة فليقل ما شاء بمقدار لا يُلين منهُ ولا يضعف من قوى جنده، وليستجمّ لنفسه بما يجعله أقدر على الجهاد حين يعود الى الميدان بين المتألمين والمحطَّمين والباكين مما يصيبهم من وحوش الاستعمار والعدوان التي توسعهم نهشاً وتمزيقاً وافتراساً

هذه سبيل الشعر لأمتنا العربية في أمرنا هذا من أيامنا هذه. أما ان يأخذ احدنا شعر الشاعر العربي فلا يجد فيه الاَّ الضعف والتخنث والبكاء والذلة والضراعة والحبَّ المريض. فذلك امر لا تقبله النفوس العزيزة التي تستشعر العزة والنخوة والمروءة، واما الفتنة التي فتن بها الناس من قولهم الشعر العالميّ والشعر الانساني والشعر ... اللهم اني اعوذ بك من سوء المنقلب .... فهذا كلام لا معنى لهُ في حياة الامم الضعيفة المظلومة التي لا قائد لها ولا امام.. أيغنّي العصفور الضعيف للثعبان القاتل ليسحره بألحانه وتغريده. ألا ان لحم العصفور أشهى الى الثعبان من لحنه ... وما في ذلك الاَّ سوء التقدير وأفن الرأي وقلة الحيلة

ان الارض العربية تطالب شعراءها وأدباءها وكتّابها وأصحاب الرأي فيها ان يتخذوا ألفاظهم في شعرهم وأدبهم وكتابتهم وآرائهم من النار والحديد والبراكين والدريّ والرُّعود المجلجلة فعسى ان يهبَّ هؤلاء النوّام من سباتهم وان يرجعوا عن غفلتهم ويعلموا ان الامر جدٌّ وان الحياة صراعٌ وان عدة هذا الصراع هو الايمان والصبر وبذل النفس وكبح الشهوات واطراح الجبن والخور فاذا خرجنا من الميدان بالنصر والظفر فلنطلب نفع الانسانية في كل بقعة من بقاع الارض ولنمحُ آثار المظالم والعدوان والفجور والبغي ولنغن ما وسعتنا الالحان وما وانتنا الأغاريد

وسنعود قريباً الى التوسع في هذا القول حين نبتدئ — بعون الله — كلامنا عن الشعر الوطني في هذه المجلة يوم نجد من شعرائنا اقبالاً على ارسال شعرهم الوطني كما أمَّلنا ذلك في النشرة التي كتبناها في اول مقتطف نوفمبر الماضي والله المستعان

٢ — تاريخ مصر الاسلامية

تأليف الياس الايوبي — مطبعة الرغائب بالقاهرة سنة ١٣٥٢

ظهر هذا الكتاب ، وكثر الحديث عنهُ فثارت الهمة لقراءته والنظر فيه وبخاصة لانهُ تاريخ أغمض العصور التي مرّت بمصر وذلك لضياع اكثر الكتب المؤلفة في هذا التاريخ الواقع ما بين سنة ٢٠ من الهجرة الى سنة ٢٥٤ منها . والخالف ما درجتُ عليه في الكتابة وأقول إني اخذت هذا الكتاب فقرأتهُ أحسبهُ شيئاً فاذا هو ليس بشيء ، وأقول هذه الكلمة وانا احمل اوزارها واثقالها وما يشاء القارىء من اوزار واثقال . فانا — يا سيدي القارىء — لم أقرأ هذا الكتاب الاّ وقد عقدت النية على انهُ تاريخ مصر من ايام الفتح العربيّ إلى اول عهد الدولة الطولونية لا على انهُ اوهام في تاريخ مصر من الفتح العربي الى عهد الدولة الطولونية

وقبل ان نبدأ ينبغي لنا ان نعرف ما هو التاريخ وكيف يكتب؟

يعتمد مؤرخ كل امة من الامم على دعامتين : فإحدى الدعامتين هي دعامة الرواية والاخرى دعامة العقل . والرواية هي مادة التاريخ الذي لا يمكن ان يسمى تاريخاً الاّ باجتماعها وعضدها. والعقل هو المصنع الذي تنق فيهِ هذه المادة وتجلى ويؤلّف بين المتقارب ويفرّق بين المتباين من اجزائها وعناصرها. فاذا اعتمد المؤرخ على الرواية دون العقل كان ما يكتبهُ تاريخاً الاّ انهُ تاريخ اعرج فاذا اعتمد على العقل دون الرواية لم يكن ما يكتبهُ تاريخاً فان اعتمد على العقل وقليل من الرواية كان ما يكتبهُ نوعاً من الكلام لا يسمى تاريخاً بل يسمى اوهاماً في التاريخ ولا يخرج التاريخ الصحيح الاّ من معامل العقل القويّ المشرق الذي اجتمعت له المادة التاريخية المحشودة المنسحة . ولا اظن ان مؤرخاً مهما بلغ من قوة العقل واشراقه يستطيع ان يولّد لك من بعض الروايات المنسوبة الى التاريخ تاريخ امة قد ملأت الارض علماً وحضارة وادباً. هذا .... فاذا اعتمد المؤرخ على الهوى دون العقل مع قلة الرواية وضعفها وتهالكها فكيف يكون تاريخه ؟ اذا أردت ان تعرف ذلك فاقرأ هذا الكتاب المسمى « تاريخ مصر الاسلامية» وتأويل ذلك

تقول مقدمة الكتاب « وكنت كلما اتصور تمكّني (كذا) من انجاز فكرتي وتخيل عملي امامي تامًّا: فاراني اصبحت اول مؤرخ مصري جدير بهذا الاسم (كذا) وأراني قد انشأت، حقيقة ، في احضان قومي روحاً مصرية بحتة — لا عربية ولا تركية ، لا مسيحية ولا يهودية ولا اسلامية — روحاً مصرية متشبعة بالمبادىء القومية العصرية ، ومثقفة بالثقافة العصرية الحقة التي تستمد منها الحضارة العصرية قوتها وجمالها . . . . . الخ » وذكر كلاماً رمى فيهِ مؤرخي العرب جميعاً بالجهل والتدليس وغلبة الهوى حين كتبوا سيرة الرسول صلى الله عليهِ وسلم فقال « ... جعلوا فيما كتبوه من سير النبيّ الغلبة للخرافة على الحقيقة ، مقلدين في

ذلك المتقدمين من مؤلفي المصريين والكلدانيين واليونان والرومان (تأمل) الذين رووا حوادث تأسيس الدولة المصرية والكلدانية واليونانية والرومانية . . . . . الخ » واستعتب القارىء في نقل هذه الجملة ايضاً : « واني اذا كنت — على عكس ذلك — رأيت نفسي مضطرًّا احياناً الى حرق ما قد قدستُهُ زمناً طويلاً فيما مضى ، فذلك لاني انما رميت بكتابي الى احياء الشعور القومي المصري البحت في نفوس قرائي ، كما قدمت . . . لا لاني ارغب في جرح شعور احد او احساس احد او فكر احد » ولعله قد سقط من الاصل « بل اريد ان اجرح شعور التاريخ واحساس التاريخ وفكر التاريخ » .

لا يدري القارىء ماذا اقاسي من الالم المبرح في نقد هذا الكتاب وما ذلك الاّ لاني اذا كتبت عنهُ فانما اكتب عن مؤلفه وقد اصبح من مادة التاريخ فآنف ان اهزل من لا يدافع عن نفسه ، ولأن الكتاب في اكثره افسادٌ للتاريخ وتدليس عليه ولأن مواضع النقد فيه كثيرة لا ادري ماذا آخذ منها او أدع في هذه الورقات . ولكني أستعين الله على ما ألاقي من الالم في الكتابة عن هذا المؤلَّف

لم يعتمد كاتبنا في تاريخه الاّ على كتب قلائل ليست شيئاً في المكتبة العربية الزاخرة بكتب التاريخ ، وهي كتاب المقريزي وابن اياس وابن وصيف شاه وتاريخ التمدن الاسلامي لزيدان والكندي وابن الشحنة في روضة المناظر وقليل غير ذلك من كتب الادب . هذا فلو اظرت الى كتاب (فتح العرب لمصر) الذي الّفه الانجليزي الدكتور (بتلر) الانكليزي لوجدته يعتمد في تاريخ حقبة من الزمن لا تبلغ خمس سنوات على عشرين ومائة كتاب في التاريخ ثلثها من كتب التاريخ العربي والبقية من كتب الامم في التاريخ . فلو ان (بتلر) اراد ان يكتب تاريخ مصر الاسلامية من سنة ٢٠ لسنة ٢٥٤ لاعتمد على اضعاف هذا من كتب التاريخ . وذلك لان التاريخ لا يكون شيئاً الاّ اذا حشدت له المادة العظيمة ونظرت فيها بالنظر الثاقب ورب كلة شاردة في ذيل ورقة تفتح للمؤرخ باباً من الفهم يجعل الغامض واضحاً بيّناً والمتباعد قريباً دانياً وتصل بين حافتي هوّة في التاريخ فتمكن المؤرخ من اجتيازها

هذا امر المادة التاريخية نفسها ، فلننظر ماذا فعل المؤرخ بالمادة التاريخية القليلة التي اجتمعت له حين الف كتابه . عمدَ المؤلف الى هذه المادة القليلة التي لا يستقيم بها تاريخ فقرأها وأراد ان يتفهمها فأخطأ في كثير وأصاب في قليل وقرَّ ذلك في نفسه ، ثم اول بعض هذه المادة تأويلاً لا يقبله عقل ولا تاريخ حتى يستطيع — كما يقول — « ان ينشىء حقيقة في احضان قومه روحاً مصرية بحتة — لا عربية ولا تركية ، لا يهودية ولا مسيحية ولا اسلامية — » فلذلك سَخِرَ بالعرب وساق الرواية العربية القوية في اسلوب من السخر بالعرب والازراء عليهم والغض منهم ومن انفاذ رجال الفتح . وأنت اذا قرأت الفصل الذي

سماه «كيف فتح العرب مصر» لم تجد فيه حقيقة غير هذه. فهو حين يذكر «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه حين بعثه عمرو على رأس النفر العشرة الى المقوقس فتقدم عبادة وكان عبادة اسود ضخماً من الرجال فهابه المقوقس لسواده «وقال: تحشوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني، فقالوا جميعاً: انهُ افضلنا رأياً وعلماً وخيرنا والمقدَّم علينا وانما نرجع جميعاً الى قوله ورأيه» فيقول المؤلف تعقيباً على هذا

«ولسنا ندري من اين اتى عبادة بن الصامت العلم ! ! » . . . ونحن والله لا ندري ايضاً، ولا نعلم الاَّ ممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له من الرأي ما أجلَّه به قومه، بل وانه رجلٌ من انقاذ الامة التي اشرقت بنورها على الارض فأخرجت الناس من الظلمات الى النور. ولسنا ندري لماذا ينكر صاحبنا العلم على عبادة، وهم لم يقولوا انه اعلم العالمين بل قالوا هو افضلنا رأياً وعلماً وهم ادرى بأنفسهم منا بها وقد كانوا رحمهم الله يقدِّرون انفسهم قدرها فيقدِّم الرجل الشريف العبدَ الحبشي العالمَ على نفسه واهله، وما كان فيهم من يتصدر ليقول عن نفسه انهُ اكبر عالم او اتقى رجل او افضل مخلوق او اوّل مؤرخ لمصر جدير بهذا الاسم. وقد اطلت ليعلم القارىء كيف يطمس الهوى على قلوب الناس اذا حرفوا العلم او التاريخ بأعنته، والهوى كما قال ابن عباس رضي الله عنه — إله معبود . . . والكتاب كله على هذا النمط من الازراء على العرب والعبث بالاسلام، وما يريد المؤلف من كل هذا الاَّ انشاء روح مصرية لا عربية ولا اسلامية كما يزعم لا تقرير الحقيقة التي يجب على كل انسان ان يطلبها أنّى كانت، والمؤلف نفسه في حيرة من العرب والاسلام وتضلعل كلٌّ منهما في مصر فتراه احياناً يدور حول نفسه يريغ المخرج ولا مخرج حتى انهُ لم يستطع ان يمحو ذكر الاسلام — والعرب — فيما سمّى به كتابه فألقى عليه هذا العنوان الذي يتبرأ مما تحته . . . «تاريخ مصر الاسلامية»

ولنفتح في الكتاب اي صفحة يكون من نصيبها التمزيق، بسم الله فهذه ص ١٨٠ يقول المؤلف في رأسها ان ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «انما ضلَّ من كان قبلكم بالكتابة» وأطال الكلام بعد ذلك على هذا الحديث الذي لا شك في وضعه حتى قال «وأهملوا — يعني العرب — تدوين كل ما جادت به قرائحهم في بابي الشعر والخطابة ذاتها لتفضيلهم الحفظ على التدوين، بل اهملوا تدوين العلم الانساني البحت عينه — على قلته — (كذا وتأمل) وقصروا قرنهم الاول وبعض الثاني (كذا قال المؤلف) وهم يتناقلونه بالتلقين، ولم يدوّنوا القرآن نفسه بعد ان احجم ابو بكر مدة عن ذلك قائلاً «كيف أفعل امراً لم يفعله رسول الله، ولم يعهد الينا فيه عهداً» . . . الاَّ لما خافوا ان تذهب الحروب والفتوحات بحفّاظه فيضيع» انتهى

ولا ندري هل يعلم المؤلف أن من الصحابة ناساً يسمون «كتّاب الوحي» كانوا يكتبون

لرسول الله صلى الله عليهِ وسلم ما يوحى من القرآن وان الرسول صلى الله عليهِ وسلم قد فادى أسرى يوم بدر فكان شرط من لامال عنده ان يعلّم عشرة من الغلمان الكتابة قالوا فيومئذٍ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت كاتب الوحي وأن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قد أمر عبدالله بن سعيد بن العاص ان يعلّم الناس الكتابة بالمدينة وانهُ قد ورد في الاستيعاب لابن عبد البر والاصابة لابن حجر ان الشفّاء ام سليمان بن أبي حثمة — علمت حفصة (وهي زوجه) الكتابة وقال لها « علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » . وان القرآن كان مكتوباً جميعهُ على عهد الرسول صلى الله عليهِ وسلم كتبه له كتّاب الوحي وكتبه لنفسه من كان يحسن يكتب من الصحابة وهم كثير ، وان قول أبي بكر « أفعل امراً لم يفعله رسول الله » انما هو عن جمعه بين دفتين أعني في كتاب او مجلة كما يقولون وليس ذلك لان ابا بكر كان يعاني الكتابة والتدوين . وتأويل ذلك ان أبا بكر لما عانت نفسه ما قال به من جمع القرآن دعا زيد بن ثابت وقال له (نرويه من حديث زيد بن ثابت) « ان هذا — يعني عمر — قد دعاني الى امر فأبيت عليهِ وأنت كاتب الوحي فان تكن معهُ اتبعتكما وان توافقني لا افعل فافتتحَ ابو بكر قول عمر وعمر ساكت ، فنفرتُ من ذلك وقلت يفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الى ان قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء قال زيد فأمر ابو بكر فكتبته من قطع الأدم وكسر الاكتاف والعُسُب » وهل يعلم المؤلف ان هناك مصاحف تنسب الى اصحابها من الصحابة كابن مسعود ومصحف ابيّ ومصحف زيد كانت مكتوبة على عهد الرسول صلى الله عليهِ وسلم وعرضها اصحابها العرضة الاخيرة عليهِ قبل ان يلحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليهِ وسلم

هذه صفحة لم نعهد اليها من الكتاب وها أنت تراها كيف مزّقت شرّ ممزّق وفرّيت قطعها في الهواء . وهذه المجلة لا تتسع في هذا الباب لأكثر من هذا ولكن ليكن القارىء على يقين من ان كلّ ورقة من هذا الكتاب هي هذه الورقة الممزّقة . ولله الامر من قبل ومن بعد

٣ — آلاء الرحمن في تفسير القرآن

تأليف محمد جواد البلاغي النجفي — الجزء الاول — مطبعة العرفان بصيدا — سنة ١٣٥٢

كان القرآن الكريم ولا يزال مادة البلاغة العربية بل مادة العقل العربي بل مادة الحياة الانسانية العالية بآدابها وعلمها وفقهها واحكامها ودولتها . نزل بهِ الوحي على محمد صلى الله عليهِ وسلم لجمع الامة بعد شتاتها وافتراقها على كلمة واحدة في قلب رجل واحد أينما سارت سجدت لها العروش ودانت لها الملوك وخضعت لها الرقاب واستقبلتها القلوب وانقادت لها النفوس وعلا بها الحقّ واضاء بها الوجود حتى اذا تمت لها المعجزة في اخضاع العالم للحق

واخراجه من ظلمات الباطل الى نهار الحق بدأت طبيعة الحياة تفعل فعلها وتفتن فتنتها فدبّت الشبهات أعناقها ، وظهر الخلاف بين الناس الاّ ان الشبهات كانت لاول عهدها خفية قليلة وكان الخلاف ضعيفاً متقارباً ثم بدأ الجدل واللجاج والعناد الانساني البغيض حتى استحكمت الشبهة وكثر الخلاف واتسع ما بين أصحاب الرأيين وتعصب هذا وتنطع ذاك فخرجت الفرق للتعادية والنحل المتخاصمة وبقي كل فريق يطلب النصر لرأيه لا للحق وبذلك اضطرب الحبل وفسدت الامور واستحلّ القتال وضعفت الدولة . وهذه صورة يتكرر ظهورها في التاريخ . ومن يتتبع أحوال الفرق وأسباب نشأتها واطوار نموّها وضعفها يعلم ان الخلاف او الشبهة التي يبنى عليها المذهب ليست الاّ كبوة عقل واحد في رجل من أصحاب الرأي انساق في آثارها وجرّ وراءه أمة من الناس تعصبوا له ، فانكبّوا معهُ . ولا بأس ان ننقل هنا كلمة للجاحظ عن ابراهيم النظام رأس الفرقة المشهورة من المعتزلة بالنظامية قال في كتابه الحيوان ج ٢ ص ٨٣ «وكان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والريغ في باب الصدق والكذب . . . . . واغا كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسه على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس لصحيح الاصل الذي قاس عليه ، كان امره على الخلاص ، ولكنه كان يظنّ الظنّ ثم يقيس عليه ، وينسى ان بدء أمره كان ظنّاً ، فاذا اتقن ذلك وايقن جزم عليه وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت » اه . وهذه صفة رؤوس الفرق جميعاً في كل ملة وفي كل علم

قدمنا هذه الكلمة بين يدي هذا الكتاب ، لان مؤلفه من علماء الامامية ، وهم فرقة من اهل الاسلام افترقت فيما بعد الى فرق كثيرة واصل عقيدتها امامة عليّ رضي الله عنهُ وبناؤها في عقبه ، والكلام على الامامية وتفصيل مذهبها ذيول طويلة ليس هذا موضع ذكرها والذي يهمنا ان هذه الفرقة كان لها في الاسلام شأن عظيم والّف في الردّ على مذاهب اهلها من الكتب شيء كثير . وقد قرأنا عنها مذاهب عجيبة لا يقرها عقل . ولم يصل الى ايدينا من كتبهم الاّ ما قرأناه من النصوص المنقولة عن كتبهم في الردّ عليهم فسرّني كثيراً ان ارى بين يديّ تفسيراً لعالم من علماء هذه الفرقة ، وان اجد هذا التفسير قد قرّب مسافة الخلف بين ما قرأتهُ عن الامامية وبين عقيدتي وعقيدة اكثر المسلمين . وهنا لا نجد بدّاً من الاشارة الى ان اهل الفرق والمذاهب لا يزالون في غفلة عن الحياة . فهم يتقسمون امرهم بينهم والعدوّ من ورائهم وامامهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يعد العدّة ويترقب لتفريسة الغافلة ولا مخرج للعرب بعد اليوم الاّ ان يرجعوا الى حكم الله اذ يقول « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . . . . . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا انّ الله مع الصابرين » . ولا بدّ ايضاً من ان

يرجعوا الى كتابهم وسنة رسولهم مخلصين لايؤولون ولا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وان يتركوا وراءهم ظهريًّا اقوال الدرّوس الفرق وأئمتها فانهم أصل البلاء ومادة الشر ، ولا حياة لامة على الامر الذي لا يجري الخلاف فيه الا الفرقة والخصومة والشنآن والعداوة المتوارثة ونسأل الله ان يجعل آخر امر المسلمين والناس جميعاً كاوله ألفةً وارتباطاً وصفاءً وعملاً خالصاً لله لا للشهوات والاهواء

محمود محمد شاكر

ابن خلدون

سيرته وتراثه الفكري

نشرنا في مقالات هذا الجزء الجانب الاكبر من فصل ممتع في « ابن خلدون والنقد الحديث » من كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان . وقد ساق هذا الجزء من بحث جدير بما عاناه المؤلف من مشاق البحث في تأليف هذا السفر النفيس

كتب جديدة في التربية

النظم التعليم

وضع الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية واستاذ التربية بها
الجزء الاول — ١٦٠ صفحة بالقطع الكبير — مطبعة بيت المقدس

دراسة نظم التعليم في البلاد الناهضة كاوربا واميركا ليس الغرض منها اثبات نجاحها ، فنظم التعليم كالحياة نفسها سائرة متغيرة ، واذا نجح نظام تعليمي في بلد فليس معناه امكان نجاحه في بلد آخر وهذا ما يؤكده المؤلف في مقدمة كتابه ، فتراه يحذر المدرس العربي بقوله « فاحذر وانت تنقل عنه (الغرسات) الى بلادك واذكر ان ماء الاردن غير ماء التيمس ومناخ برلين غير مناخ فلسطين »

ومباحث الكتاب يمكن تقسيمها الى قسمين (اولاً) نظم التعليم في المانيا وفرنسا وتركيا (ثانياً) نظم التعليم الثانوي في اوربا واميركا . ونحن لا ندري الحكمة في هذا التقسيم ، إذ كان اقرب الى تنظيم العمل ان يخصص الاستاذ الخالدي هذا الجزء من كتابه لدراسة نظم التعليم المختلفة فبدلاً من مقارنة نظم التعليم الثانوي كان عليه ان يتم دراسة نظم التعليم في انكلترا وسويسرا والدانمارك واميركا ويعرج على الشرق ويدرس مصر وغيرها . وعندئذ تتيسر المقابلة بين هذه النظم

وعند دراسة نظام التعليم الالماني اهمل الاستاذ دراسة نظام رياض الاطفال Kindergarten وبيوت صغار الاطفال وهي ما تتميز به التربية الالمانية وقد يستطاع اقتباسه مباشرة في الشرق بلا قيد ولا شرط ، كما كان يجدر بالمؤلف ان يربط دراسة التعليم بألمانيا ويبسط لنا طرفاً عن

نظم تعليم ذوي العاهات والشواذ ، والتعليم العسكري الالماني في هذه المدارس ولو ان الاستاذ وضح كتابه بشيء من الصور التي تمثل الحياة الاجتماعية لكان اكثر تأكيداً لكلامه. كما اننا نأخذ على الاستاذ المؤلف تعريب كثير من المصطلحات اللاتينية كما هي كاستخدام لفظ (اكاديمي البيداغوجيا) بدلاً من «معهد التربية» مع سهولة هذه وتأديتها للغرض

ومع ذلك فالكتاب قد ملأ فراغاً في التأليف العربي ، وجدير بكل مشتغل بشؤون التعليم ان يدرسه بامعان لا ان يقتنيه فقط

محاضرات ومقالات في التربية والتعليم

كتابان مستقلان — ٧٤ ، ١٠٤ صفحة بالقطع المتوسط — مطبعة الكشاف ببيروت

يشتمل الكتاب الاول (محاضرات في التربية والتعليم) على ثلاثة بحوث ، في تدريس اللغة ، وقواعد اللغة ، وتنظيم المدرسة ذات المعلم الواحد . كما يشتمل الكتاب الثاني (مقالات في التربية والتعليم) على بحوث خاصة بتدريس اللغة العربية واخرى مترجمة او مقتبسة

وعناية الاستاذ بارودي احد مفتشي المعارف في لبنان بطرق تدريس اللغة العربية امر مشكور ، لان النقل والاقتباس عن الغرب يقصر عند هذا الحد ، فان كنا نأخذ عن الغرب الطرق العامة في التدريس ، فان طرق تدريس المواد ولا سيما اللغة لابدَّ وان نعتمد في اختيارها او ابتكارها على انفسنا ، فكل لغة لها مميزاتها وخصائصها . واللغة العربية لا يمكن بحال من الاحوال ان نقارنها باية لغة اوربية . فلو ان الاستاذ قد خصص كتابيه او احدهما على الاقل لدراسة طرق تدريس اللغة العربية بكل فروعها لكان ذلك اكثر فائدة ، ولو انهُ قد اكثر من الأمثلة التي يشاهدها في تفتيشه على المدارس اللبنانية (كالمصاعب التي يلاقيها المعلمون او التلاميذ في دروس اللغة) لكانت بحوثه اقرب نفعاً . والصعوبات التي تعترض تدريس اللغة العربية كثيرة اورد بعضها المؤلف ومثال ذلك «تدريس الهجاء ، تشكيل الحروف ، قواعد اللغة ، التجديد في تدريس الانشاء ، الخط » مما يعرفه المشتغلون بتدريس اللغة العربية

وحبذا لو نهج المشتغلون بالتعليم من مفتشين ونظار ومعلمين نهج الاستاذ واصف بارودي في تدوين ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة بشؤون التعليم ، فانها تكون بذلك المرجع الذي يعتمد عليه المعلمون الناشئون والباحثون في مشاكل التعليم في البلاد العربية احمد عطية الله

ذكرى الدكتور محمد بن ابي شنب

بقلم الاديب عبد الرحمن الجيلالي ويحتوي على نسب صاحب الذكرى ونشأته وعلمه واخلاقه وآثاره ومنشآته — ويطلب من المكتبة الادبية بالجزائر وثمنهُ ١٠ فرنكات

الفلاح الاقتصادي

مجلة زراعية اقتصادية — لمنشئها ثابت ثابت — مطبعة المقطم وتوزع مجاناً

لثابت افندي ثابت ، منشيء هذه المجلة ورئيس تحريرها ، عناية خاصة بالموضوعات الاقتصادية والزراعية تشهد بذلك مقالاته المفيدة في المقطم التي يودعها كل سنة زبدة مشاهداته في بلدان اوربا واحوالها الاقتصادية والعمرانية . وله علاوة على ذلك اهتمام عملي خاص بشؤون مصر الزراعية ، وهو الذي ما برح يخالط الفلاح المصري من عشرين سنة او تزيد ، فدرس احواله ونفذ الى رغائبه وآماله . فرأى ان ينشيء هذه المجلة لتكون مرشداً ومؤازراً للفلاح في هذا البلد الذي نعيش بخيره ونشاركه في سرّائه وضرّائه . والمساهمة في ارشاد خاصته وعامته الى الطرق الحديثة التي تؤول الى تحسين تربته وانماء زراعته وصناعته وزيادة انتاجه بالوسائل التي عمدت اليها شعوب وبلدان اخرى فأصابت بها اوفر قسط من زكاء الربح من الراحة والرخاء . والعجب في امر هذه المجلة ، ان منشئها قد عمد الى توزيعها من دون ثمن زيادة في نشر الفوائد التي تجنى من مباحثها — وكل بحث ينطوي على فائدة خاصة

وقد جعلت ابوابها خاصة بالزراعة والصناعة والمال والتجارة ، وفي كل باب منها مباحث غزيرة المادة بليغة الاسلوب جمة الفائدة . ونخالنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان رجال الزراعة والاعمال في القطر يحسنون صنعاً باجتناء فوائدها مطالعة وحفظ اعدادها لتكون لهم مرجعاً ومعاداً

وقد حلى العدد الاول منها بقصيدة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها لما « اقتضت حكمة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك أيده الله ان يشتري لحضرة صاحب السمو الامير فاروق ولي عهده تهنيئة المطاعنة بالصيد من شركة السكر فأصبح سموّه بذلك يعد جلالة والده في طليعة زرّاع القطر » قال الشاعر منها

ليست مشارفة الامير لضيعةٍ ضَيْعةً وما الجهد المغِلُّ بضائع
ان الفلاحة والفلاح تسلسلا لفظاً ومعنىً من نجارٍ جامع

وقال في وصف جلالة الملك

لحظ الرمال القاحلات فنضّرت وازينت بمغارسٍ ومزارع
لحظ المدائن والقرى فتجمّلت وتكللت بمدارسٍ ومصانع
لحظ الثقافة للعقول فأخرجت ما طاب من ثمر العقول اليانع
لحظ الرياضة للجسوم فهيّأت نشأً جديد عزائمٍ وشوارع
لحظ العلوم فما يرى من روضةٍ الاّ فضاء الطير حول مشارع
لحظ الفنون فعاد مؤتنقاً بها ما كان من فضل قديم بارع